سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ ۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا
نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ۖ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ
مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبۡكَارًا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ ۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧

سورة التحريم

سورة التحريم مدنيّة وآياتها اثنتا عشرة آية، ولها اسم آخر هو سورة النبي.

[١] افتتحت هذه السورة بعتاب النبي ﷺ عتابًا لطيفًا؛ حين حرَّم علىٰ نفسه شرب العسل مراعاة لخاطر زوجتيه عائشة وحفصة في قصة معروفة، وقيل: إنه ﷺ حرَّم علىٰ نفسه مارية القبطية لإرضاء زوجتيه عائشة وحفصة؛ فقال سبحانه: يأيها النبي لم تمتنع من شرب العسل، الذي أحله الله لك، تلتمس بذلك رضا أزواجك؟ فإنه لا ينبغي لك تحريم ما أحل الله، واعلم أن الله واسع المغفرة، عظيم الرحمة؛ فقد غفر لنبيه ﷺ ورحم الأمة حيث أنزل كفارة اليمين فصارت عامة لجميع الأيمان، ويستفاد من هذه الآية هو منع تحريم ما أحل الله، وقد قال بعض العلماء: يمين تحريم ما أحل الله لا تنعقد، وقال آخرون: تعتبر يمينًا فإن رغب التحلل منها كفَّر.

[٢] واعلموا أيها المؤمنون أن الله قد شرع لكم ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، والله متولي أموركم بنصركم علىٰ أعدائكم، وهو العليم بما فيه استقامة أموركم، الحكيم في تدبير شؤون حياتكم.

[٣] وتذكروا حين أسرَّ النبي ﷺ إلىٰ حفصة بِسِرٍّ، وطلب منها أن لا تخبر به أحدًا، ولكنها لم تحفظ السر، فأخبرت به عائشة، فجاءه ﷺ الخبر من السماء أنها أفشت سره، فعاتب ﷺ حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به وسكت عن بعض تكرمًا وحياءً منه ﷺ، وبعد أن أخبرها ﷺ بخطئها وعاتبها قالت: من أخبرك بذلك، فقال لها: أخبرني الله العليم بسرائر العباد، الخبير الذي لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٤] ثم وجه جل وعلا الخطاب لعائشة وحفصة، فأمرهما أن يتوبا إلىٰ الله من ذنبهما، ويقلعا عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ؛ حيث مالت قلوبهما وانحرفت عما يجب عليهما من كتمان سر رسول الله ﷺ، ومن الحرص علىٰ راحته وعدم إيذائه، أما إذا تعاضدا وتعاونا بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره؛ فإن الله تعالىٰ هو وليه وناصره، هو وجبريل والمؤمنون الصالحون، والملائكة بعد هؤلاء كلهم مظاهرون له ومعينون. والمعنىٰ: أن من يحاول إغضاب النبي ﷺ أو يؤذيه فإنه ليس من صالح المؤمنين.

[٥] ثم وجه جل وعلا الخطاب إلىٰ زوجات النبي ﷺ، بعد ما حصل منهن من إفشاء سره وإيذائه، فأخبرهن سبحانه أنه لو طلقكن رسول الله ﷺ فإنه سوف يبدله ازواجًا خيرًا منكنّ إسلامًا وإيمانًا، ومواظبة علىٰ العبادة، وإقلاعًا عن الذنوب، وخضوعًا لأوامر الرسول ﷺ، وهؤلاء الأزواج بعضهنّ ثيبات وبعضهنّ أبكارٌ.

وقد جاء في نزول هذه الآية أن زوجات النبي ﷺ لما شاهدن الفتوحات والغنائم ورأين زوجات الصحابة والأنصار توسعن في النفقة والملبس نتيجة لما يحصل عليه أزواجهن من الغنائم والفيء، وكان ﷺ يوزع علىٰ المحاربين والفقراء، ويكتفي هو بالكفاف، أي: لم يتوسع، فطلبن منه أن يمدهن وأن يوسع عليهن؛ فخيرهن ﷺ بالبقاء معه علىٰ ما كان أو الطلاق.

[٦] ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه؛ اتخذوا وقاية لأنفسكم وأهليكم من غضب الله وسخطه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن نتيجة العصيان وعدم تنفيذ أوامر الله هو دخولكم نارًا عظيمة، وهذه النار حطبها الذي تسعر به هو الناس والحجارة، كما أن علىٰ هذه النار ملائكة أقوياء غلاظ القلوب مكلفون بتعذيب أهل النار، وهؤلاء الملائكة لا يعصون أمر الله بحال من الأحوال؛ بل ينفذون أوامر الله بدون إمهال ولا تأخير.

[٧] وفي هذا اليوم العسير وهو يوم القيامة يقال للكفار عند إدخالهم النار: ياأيها الذين جحدوا دين الله وكذبوا رسله وأعرضوا عن آياته؛ لا تعتذروا اليوم فقد فات الأوان، وذهب وقت العمل، فلا يجدي رجاء ولا اعتذار، لأنكم إنما تثابون اليوم وتعطون جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

[٨] ثم ندب جل وعلا عباده المؤمنين إلىٰ المبادرة بالتوبة النصوح فقال سبحانه: يامعشر من صدق الله ورسوله ﷺ وعمل بشرعه توبوا إلىٰ الله من ذنوبكم توبة صادقة خالصة، وذلك بالندم علىٰ الذنب، والإقلاع عنه، والعزم علىٰ عدم العودة، فإذا فعلتم ذلك كان حقًّا علىٰ الله أن يمحوا سيئات أعمالكم التي سلفت منكم، ويدخلكم بساتين تجرىٰ من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، يوم لا يخزىٰ الله النبي ومن آمن معه، فيرفع سبحانه في ذلك اليوم من شأنهم ويعلي من قدرهم، لأن الخزي والسوء في ذلك اليوم يكون علىٰ الكافرين ومن علىٰ شاكلتهم، ثم بين سبحانه بأن هؤلاء المؤمنين وهم علىٰ الصراط يسير نورهم أمامهم وعلىٰ أيمانهم، ويقولون: ياربنا أَدِمْ علينا نورنا حتَّىٰ نصل إلىٰ دار السلام، وامحُ عنا ما اقترفنا من الذنوب والمعاصي، إنك علىٰ كل شيء قدير.

[٩] يأمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ بقتال الكفار الذين يقفون في سبيل الدعوة بالسيف، وأن يجاهد المنافقين الذين أبطنوا الكفر بالحجة والوعظ البليغ، وعليك أن تكون شديدًا علىٰ الكفار والمنافقين، ولا تعاملهم بالرأفة واللين؛ لأنهم هكذا يعاملون المؤمنين، وكما يقال في الأمثال: (لا يفل الحديد إلا الحديد)؛ واعلم أن مصير هؤلاء الكفار والمنافقين إلىٰ جهنم؛ فهي مسكنهم الدائم، وقَبُحَ ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.

[١٠] ثم ضرب جل وعلا مثلين: المثل الأول: يبين حال الكفار الذين لم ينتفعوا بعظات الأنبياء والمرسلين، وعدم استفادتهم بقرابة المؤمنين، فهذه زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط، كانتا في عصمة نبيين كريمين ولم ينتفعا بهديهما؛ فوقعت منهما الخيانة لهما بما كانتا عليه من الكفر وعدم الإيمان، وليست خيانة عرض؛ لأن فرش الأنبياء طهرها الله من الفساد، ثم بين سبحانه بأن كونهما زوجتين لهذين النبيين لم يدفع ذلك عنهما شيئًا من عذاب الله، ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا نار جهنم مع سائر الداخلين.

وبهذا يُعلم أن الهداية بيد الله، كما قال تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ لمَّا حزن علىٰ عدم إسلام عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[القصص:٥٦].

[١١] وأما المثل الثاني: فكان للذين آمنوا بالله وبرسله، حيث بين سبحانه أن صلتهم بالكافرين لا تضرّهم ولا تؤثر فيهم ما داموا مستقيمين علىٰ الحق؛ فهذه زوجة فرعون آسية بنت مزاحم تلك المرأة الصالحة كانت تحت أعدىٰ أعداء الله في الدنيا، وقد طلبت النجاة من زوجها فرعون ومن عمله، وقالت في دعائها: رب اجعلني قريبةً من رحمتك، وابن لي بيتًا في أعلىٰ الجنة، وخلِّصني من أعمال فرعون الخبيثة، وأنقذني من قومه الظالمين.

[١٢] وهذه مريم ابنة عمران تلك المرأة الصالحة التقية النقية، أثنىٰ عليها جل وعلا أنها حفظت فرجها عن فاحشة الزنىٰ؛ فجاء جبريل فنفخ في جيب دِرْعِها[1] فوصلت النفخة إلىٰ المكان الذي يتكون فيه الجنين بإذن الله؛ فحملت بعيسىٰ عليه السلام؛ فهو كلمة الله التي هي كن، أي: أنه خلق بالأمر الذي هو (كن) كما قال تعالىٰ ردًّا علىٰ الغالين فيه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ [آل عمران:٥٩]، ثم أثنىٰ عليها أنها صدقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة علىٰ رسله، ثم أثنىٰ عليها سبحانه أنها كانت من المحافظين علىٰ طاعة الله وعبادته.

---

(١) درع المرأة: قميصها الذي تلبسه في البيت.